

الفصل الخامس

الضوابط العلمية للتعامل مع روايات السير وطرق تطبيقها

بعد مناقشة المقارنة بين منهجي نور الدين الحلبي وأكرم ضياء العمري في نقد روايات السير، يرى الباحث أهمية نقاش الضوابط العلمية والعملية المستعملة في التعامل مع روايات السير، بل هي من ضروريات في هذا العلم، التي تجب لمن أراد أن يتعمق في هذا المجال، لمعرفة والإذعان لها، لأن الذي نتعامل معه في هذا العلم جزء من الميراث النبوي، الذي ينبغي لكل باحث فيه توقيره والاستفادة منه أكثر استفادة ممكنة، وبالتالي، وضع هذه الضوابط مهم جداً، حتى لا يخرج أي باحث في هذا العلم عن النطاق المضبوط المسموح، والذي سوف يبينه الباحث من خلال عدة مباحث في هذا الفصل.

ويهدف هذا الفصل إلى توضيح الضوابط العلمية في التعامل مع روايات السير، وكيفية تطبيقها عملياً، وسيعرض الباحث هذه الضوابط من خلال مباحث خمسة، وهي: أن تكون روايات السير صحيحة، أو حسنة، أو دونها بشروط محددة، وأن تجمع روايات السير في قصة واحدة، وأن يرجع الباحث إلى المصادر الحديثية الأصلية، وأن يراعي أخلاقيات الباحث في التعامل مع روايات السير، وأن يراعي ضوابط استخراج الفوائد من روايات السير

1،5 المبحث الأول: أن تكون روايات السِّيرِ صحيحةً، أو حسنةً، أو دونهما بشرُوطٍ محددة

إن من الأسباب الرئيسة في التثبت من رتبة الأحاديث النبوية وصحتها التهديد الوارد في الأحاديث، الذي أشار إلى قبح شأن من قال عن رسول الله ﷺ ما ليس عنه ﷺ، وقد قال ﷺ: "إن كذبًا علي ليس ككذب علي أحد، من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"⁵⁰⁶، وقال ﷺ في حديث آخر: "من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين"⁵⁰⁷. وهذا بلا شك لحفظ الدين الإسلامي، من أي تحريفات وتبديلات تخدم الدين وتعاليمه.

وقد اتفق علماء الأمة على قبول روايات السِّيرِ في رتبة الصحيح والحسن، كقصة من القصص الثابتة تاريخيًا من الأدلة المعتمدة في الشريعة الإسلامية، بغض النظر عن تعلقها بالعقائد والأحكام أو غيرها⁵⁰⁸، وذهب بعضهم إلى قبول ما دونها من روايات السِّيرِ بإحدى الشُّروط الآتية، وهي:

أولاً: أن تكون متفقة عليها بين المؤرخين، مثل ما قاله ابن قيم الجوزية في تعليقه على قصة زواج الرسول ﷺ بأم حبيبة، حيث قال: "هذا هو المعروف المتواتر عند أهل السِّيرِ والتواريخ..."⁵⁰⁹، وكذلك اعتبار زينب بنت جحش أول من مات بعد الرسول ﷺ من نسائه ﷺ المتفق عليه بين أئمة المغازي.⁵¹⁰ قال

⁵⁰⁶ البخاري. 2002. صحيح البخاري. كتاب الجنائز. باب ما يكره من النياحة على الميت. ص. 312. رقم الحديث 1291. مسلم. 1955. صحيح مسلم. مقدمة الإمام مسلم. باب تليظ الكذب على رسول الله ﷺ. ج. 1: 10. رقم الحديث 2.

⁵⁰⁷ مسلم. 1955. صحيح مسلم. مقدمة الإمام مسلم. باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين، والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ. ج. 1: 9. رقم الحديث 2. ابن ماجه، محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه. الرياض: مكتبة المعارف. باب من حدث عن رسول الله ﷺ حديثًا وهو يُرى أنه كذب. ص. 20. رقم الحديث 41. وصححه الشيخ الألباني.

⁵⁰⁸ عتر، نور الدين. 1997. منهج التقدير في علوم الحديث. دمشق: دار الفكر. ص. 244، 266.

⁵⁰⁹ الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. 1994. زاد المعاد في هدي خير العباد. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج. 1. ص. 106.

⁵¹⁰ المصدر نفسه. ج. 1. ص. 110.

فأروق حمادة: "إذا جاء خبر من الأخبار في مصادر السيرة النبوية وخاصة كُتُب المغازي والسيرة بلا إسناد، أو كانت أسانيد ضعيفة وخاصة من جهة الإرسال... فالذي أراه أن هذا الإجماع والاتفاق ينهض بهذا الخبر ويقويه، ويجعلنا نركن إليه... وقد تكرر قولهم في السيرة والمغازي: "أجمعوا على هذا واتفقوا عليه"⁵¹¹

ثانياً: أن تكون مشهورة بينهم، مثل تعليق ابن عبد البر على قصة إسلام زوجة صفوان بن أمية، حيث قال: "لا أعلمه يتصل من وجه صحيح، وهو حديث مشهور معلوم عند أهل السيرة... وشهرة هذا الحديث أقوى من إسناده..."⁵¹²، وقال ابن تيمية: "...بعض ما يشتهر عند أهل المغازي ويستفيض أقوى مما يُروى بالإسناد واحد"⁵¹³.

ثالثاً: إن كانت مروية عن بعض المؤرخين المعروفين بالأمانة والثقة في دينهم، ما دامت هذه الروايات لا تتعلّق بالعقائد والأحكام، ولا تخالف النصوص الثابتة، ولا تكون شاذة في النقل⁵¹⁴، مثل وقوع الحادثة التي حضرها عدد كبير من الصحابة، ولكن لا ينقل تفاصيل هذه الحادثة إلا عدد قليل من الناس، وهذا دليل على شذوذ هذه التفاصيل لأنها لو كانت ثابتة لرواها ملاً كبير من الناس. قال ابن كثير: "ومثل هذا الحديث لا يقبل فيه خبر واحد إذا اتصل إسناده لأنه من باب ما تتوافر الدواعي على نقله فلا بد من نقله بالتواتر والاستفاضة لا أقل من ذلك..."⁵¹⁵

⁵¹¹ فأروق حمادة. مصادر السيرة النبوية وتقويمها. دمشق: دار القلم. ص. 123.

⁵¹² ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد. 1387هـ. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. ج. 12. ص. 18.

⁵¹³ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحارثي. الصارم المسلول على شاتم الرسول. السعودية: الحرس الوطني السعودي. ص. 143.

⁵¹⁴ محمد روزمي بن رملي. 2014. المنهج النقدي لروايات المغازي والسيرة عند ابن قيم الجوزية دراسة تطبيقية على كتاب زاد المعاد هدي

خير العباد. (رسالة دكتوراة). الجامعة الأردنية. ص. 49

⁵¹⁵ ابن كثير. 1988. البداية والنهاية. ج. 6. ص. 87.

وقد خالف بعض المعاصرين مثل الألباني موقف قبول ما اشتهر بين المؤرخين من روايات السيرة، وقالوا بأن لا تلازم بين الشهرة والصحة، ولذلك اشترطوا الصحة لقبول سائر روايات السيرة والمغازي⁵¹⁶. والذي يراه الباحث إن موقف جمهور العلماء أصح من مخالفة بعض المعاصرين، حيث تعددت أقوال العلماء في تأييده، كما مرّ سابقاً.

وبعد تلخيص الباحث في ما اشترطه العلماء لقبول روايات السيرة، يرى أهمية ذكر بعض التطبيقات التي توافق الضابط، والتطبيقات التي تخالفها، بمقارنتها بشروط العلماء التي تقدم ذكرها. وسيستعين الباحث ببعض كتب السيرة والمغازي التي ألفها المتقدمون والمتأخرون من المؤرخين والعلماء لإبراز قصد الباحث. وسيقسم الباحث هذه التطبيقات إلى مطلبين، هما:

1,1,5 المطلب الأول: التطبيقات التي توافق الضابط

أولاً: في كتاب السيرة النبوية الصحيحة، ذكر العمري الطُّرُق التي اختارها الرسول ﷺ إلى خيبر، مستعيناً بالطرق التي حددها الواقدي حيث قال:

"وقد انفرد الواقدي بتحديد الطريق التي سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خيبر بصورة مفصلة، والواقدي خيبر بمسالك الطرق وتحديد الأماكن التي جرت فيها أحداث السيرة فقد كان يتتبعها ويسأل عنها، ويقف عليها بنفسه، وقد تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة فسلك ثنية الوداع فرغابة فنقمتي فالمستناخ فالوطة فعصر فالصهباء فالحرصة ثم سلك بين الشق والنظاة ثم المنزلة ثم الرجيع

⁵¹⁶ ابن كثير. 1988. البداية والنهاية. ج. 6. ص. 87.

حيث انطلق منها لفتح خيبر. والملاحظ أن الرجيع تقع شمال شرق خيبر ويبدو أن النبي قصد من ذلك أن يفصل خيبر عن الشام وعن حلفائها من غطفان⁵¹⁷.

ويتبين أن العمري قد استأنس بآراء بعض أئمة السير والمغازي، لا سيما الواقدي الذي يعد خبيراً بالأماكن والطرق، فضلاً عن عدم تعلق هذا الأمر بالعقائد والشريعة، ولا يؤثر على أصل القصة، ولا يعارض الخبر الصحيح.

ثانياً: في كتاب تاريخ خليفة بن خياط، أنه حدّد وقت وقوع غزوة أحد، حيث قال:

"حدثنا بكر عن ابن إسحاق ووهب عن أبيه عن ابن إسحاق عن الزهري ويزيد ابن رومان وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عشية الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شوال وكانت الوقعة يوم السبت للنصف من شوال⁵¹⁸، وفي سنده جهالة، فالرواية ضعيفة، ولكن ذكرها خليفة بن خياط لشهرة الخبر على أن غزوة أحد وقعت يوم السبت للنصف من شوال⁵¹⁹.

⁵¹⁷ العمري. 1994. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد الحديث في نقد روايات السيرة النبوية. ج. 1. ص. 321؛ الواقدي. 1409. المغازي. ج. 2. ص. 638.

⁵¹⁸ الشيباني، خليفة بن خياط بن خليفة. 1397. تاريخ خليفة بن خياط. دمشق: دار القلم. ص. 67.

⁵¹⁹ انظر: الطبري. 2001. تفسير الطبري أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج. 7. ص. 399. الشيباني. 1397. تاريخ خليفة بن خياط. ص. 67. العمري. 1994. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد الحديث في نقد روايات السيرة النبوية. ج. 2. ص. 378.

ثالثًا: في مصنف ابن أبي شيبة، أورد ابن أبي شيبة قصة عرض عتبة بن ربيعة على الرسول ﷺ النساء والمال كي يتك الرسول ﷺ دعوته. وفي سند هذه القصة ضعف للذبال بن حرملة، وهو مجهول الحال⁵²⁰، وقد انفرد ابن حبان في توثيقه⁵²¹، والقصة مع ضعفها، ذكرها ابن أبي شيبة بسنده لاشتهارها⁵²².

رابعًا: في سيرة ابن إسحاق، ذكرت قصة حماية أبي دجانة بظهره للرسول ﷺ من النبل يوم أحد. وجاءت هذه القصة في سيرته دون إسناد، ولكنها مشتهرة في كُتب السيرة، فشهرتها تغني عن إسنادها.⁵²³

خامسًا: في تفسير الطبري، سجّل الطبري قصة قتلة أبي بن خلف الجمحي، وقد طعنه الرسول ﷺ في جيب الدرع يوم أحد، فمات في طريقه إلى أصحابه، وهذه القصة مرسلّة من مراسيل السدي وسعيد بن المسيب، والرواية المرسلّة ضعيفة كما هو معروف، ولكنها مما اشتهر في كُتب السيرة⁵²⁴.

520 المنصوري، أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي. 2015. إرواء الظمي يتراجم رجال سنن الدارمي. الرياض: دار العاصمة. ص. 187. رقم التراجم 32.

521 انظر: ابن حبان. 1983. التقيقات. ج. 4. ص. 222.

522 ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. 1989. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. كتاب المغازي. باب في أذى قريش للنبي ﷺ وما لقي منهم. ج. 7. ص. 330. رقم الحديث 36560. التميمي. 2013. مسند أبي يعلى الموصلي. ج. 3: 313. رقم الحديث 1818. البيهقي. 1988. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. ج. 2. ص. 202-203. العمري. 1994. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحرّين في نقد روايات السيرة النبوية. ج. 1. ص. 192.

523 ابن إسحاق. 1978. سيرة ابن إسحاق. ص. 328. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب. 1955. السيرة النبوية لابن هشام. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. ج. 2. ص. 82. الواقدي. 1989. المغازي. ج. 2. ص. 668. ابن كثير. 1988. البداية والنهاية. ج. 4. ص. 39. العمري. 1994. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحرّين في نقد روايات السيرة النبوية. ج. 2. ص. 388.

524 انظر: الطبري. 2001. تفسير الطبري أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج. 7. ص. 254. ابن إسحاق. 1978. سيرة ابن إسحاق. ص. 331. الهاشمي، محمد بن سعد بن منيع. 1990. الطبقات الكبرى. الرياض: دار الكتب العلمية. ج. 2. ص. 35. الواقدي. 1989. المغازي. ج. 1. ص. 250. العمري. 1994. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحرّين في نقد روايات السيرة النبوية. ج. 2. ص. 392.

سادساً: ذكر ابن إسحاق زوج أم حبيبة من الرسول ﷺ قبل الهجرة بعد وفاة زوجها عبيد الله بن جحش،
وانه مهرها أربعمائة دينار، وهي في أرض الحبشة. وقد اتفق علماء السير على وقوع هذه الحادثة، فاتفقهم
يغني عن التفتيش في إسناده⁵²⁵.

بناءً على ما ذكرنا، خلص الباحث إلى أن العلماء متفقون على قبول الروايات الصحيحة والحسنة
المتعلقة بالسير والمغازي، وذهب أكثرهم إلى قبول ما دونها من الروايات بشرط بينها الباحث أنفاً.
وبالإضافة إلى ذلك، يستنتج الباحث أن هذه الروايات التي دون الصحيح والحسن، واردة في كثير من كتب
السير والمغازي، وذلك لأنهم أطلقوا باب السير والمغازي في الأبواب التي لا تتعلق بالعقائد والشريعة،
وبالتالي تساهلوا في إيرادها في كتبهم. ومن الأسباب التي تؤدي إلى تساهلهم إتمام الفجوات التاريخية التي
لا تنص عليها الروايات الصحيحة والحسنة. والجدير بالذكر، إن علماء السير في تساهلهم قبلوا ما اتفق
عليه أئمة السير والمغازي، وما اشتهر بينهم، وما حمله بعضهم المتصفون بالثقة، والأمانة، والدين، وهذه
الأمور تغني عن البحث عن إسناد الروايات، ما دامت هذه الروايات لا تعارض الأخبار الأخرى الصحيحة،
ولا تكون شاذة في النقل.

⁵²⁵ انظر: ابن إسحاق. 1978. سيرة ابن إسحاق. ص. 259. الجوزية. 1994. زاد المعاد في هدي خير العباد. ج. 1. ص. 106.
محمد روزمي رملي. 2014. المنهج النقدي لروايات المغازي والسير عند ابن قيم الجوزية: دراسة تطبيقية على كتاب زاد المعاد في هدي خير
العباد. (رسالة دكتوراه). الجامعة الأردنية. ص. 47.

2,1,5 المطلب الثاني: التطبيقات التي تخالف الضابط

أولاً: تقدّم إيراد الحلبيّ قصّة عمر جبريل في كتابه السيرة الحلبيّة⁵²⁶، ويمكن القول أن هذه القصّة مردودةٌ لجهالة حامل الرواية من المؤرّخين، ومن الأمور المستغربة أن الحلبيّ نسبها إلى إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاريّ، مع أنها لا توجد في أي من مؤلفات البخاريّ مثل صحيحه، وتاريخه، والأدب المفرد، ونحوها. ولذلك شنّع هذه الرواية الشّيخ الغماري في رسالتها "مرشد الحائر"، ووصفها بكذب قبيح، افتراه الوضّاعون⁵²⁷.

ثانياً: أورد السيوطي رواية من طريق أبي الزبير، عن جابر، قال: "بين كُتفي آدم مكتوب محمد رسول الله خاتم النبيّين"⁵²⁸، وفي سنده الفضل بن المختار البصري، وهو مشهور في رواية المناكير من الأحاديث⁵²⁹، والحديث لذلك ضعيف ضعفاً شديداً، بل يخالف النصوص الثابتة والحقائق التاريخية الثابتة.

2,2 المبحث الثاني: أن تُجمع روايات السيرة في قصّة واحدة

هناك قاعدة تقول "الحكم على الشّيء فرع عن تصوّره"⁵³⁰، وقد قال الشّيخ ابن عثيمين رحمه الله تعليقاً على هذه القاعدة: "ومن القواعد المعروفة المقرّرة عند أهل العلم: الحكم على شيء فرع عن تصوّره، فلا تحكم على شيء إلا بعد أن تصوّره تصوّراً تاماً حتى يكون حكم مطابقاً للواقع، وإلا حصل

⁵²⁶ انظر: ص. 164 من هذه الدراسة.

⁵²⁷ انظر: الغماري، عبد الله بن محمد، مرشد الحائر. ص. 12.

⁵²⁸ انظر: السيوطي، الخصائص الكبرى. ج. 1. ص. 14.

⁵²⁹ انظر: ابن أبي حاتم. 1952. الجرح والتعديل. ج. 7. ص. 69.

⁵³⁰ العثيمين، محمد بن صالح. 2009. الأصول من علم الأصول. الرياض: دار ابن الجوزي. ص. 83.

خلل كبير جداً⁵³¹. وهذا الأمر خاص بالتواحي الأصولية، ولكن يمكننا تطبيق محتوى هذه القاعدة على العلوم الأخرى، وفي باب السيرة والمغازي أيضاً الذي نحن بصدده، لأن لا يمكن أن تُتصور قصة أو حادثة تتعلق بالسيرة والمغازي إلا بعد أن تجمع جميع رواياتها لاستيعاب جميع تفاصيلها وأحوالها، لمعرفة تصور القصة تصويراً تاماً، وإلا سوف يجر ذلك إلى نقص في فهمها أو الحكم على رواياتها، ولذلك جمع الروايات في قصة واحدة يعد أمراً ضرورياً، فلا بد لمن أراد أن يساهم في خدمة هذا الباب، الاهتمام بهذا البُعد المهم، وإلا سوف يؤدي إلى سوء فهم للتاريخ الإسلامي.

وبالإضافة إلى ذلك، الفهم الصحيح لقصة واحدة لا يتحقق بجمع الروايات فحسب، بل يتعدى إلى عملية تنقيح هذه الروايات من ناحية سندها ومتنها، وقد يحصل التعارض بين هذه الروايات لأسباب متعددة. فلا بد من القيام بثلاثة أمور، وسيقسّمها الباحث إلى ثلاثة مطالب، وهي:

1،2،5 المطلب الأول: تطبيق الجمع بين الروايات المتعارضة إذا أمكن الجمع

يعدّ الجمع أول الأمور المعمولة بها عند التعارض بين الأدلة، ولا ينتقل إلى الترجيح، إلا بعد امتناع الجمع بينها، وهذا معروف في الأصول، والقاعدة تقول "إعمال الكلام أولى من إهماله" انظر: ابن أبي حاتم. 1952. الجرح والتعديل. ج. 7. ص. 69. 532. قال الشافعي رحمه الله: "وكلما احتمل حديثان أن يستعملا معاً استعمالاً، ولم يعطل واحد منهما الآخر"⁵³³. وهذا الأمر بعموميته، فإنه يشمل ما يتعلق بالسيرة والمغازي من الروايات المتعارضة، حيث لا نرجح إحداها على الأخرى، إلا بعد القيام بعملية الجمع أو التوفيق بينها.

⁵³¹ العنمين، محمد بن صالح. شرح الأصول من علم الأصول. الإسكندرية: دار البصيرة. ص. 604.

⁵³² السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. 1983. الأشباه والنظائر. بيروت: دار الكتب العلمية. ص. 128.

⁵³³ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت. د.ت. الفقيه والمتفقه. الرياض: دار ابن الجوزي. ج. 1. ص. 538.

أولاً: التطبيقات التي توافق الضابط

ومثال ذلك، يظهر وجه التعارض بين حديثين يتعلّقان بمكان شق صدر الرسول ﷺ ليلة الإسراء. وقد أفاد الحديث الأول أن الرسول ﷺ كان في بيته حين نزل جبريل عليه السّلام. قال أنس: كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "فرج سقفي بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم..."⁵³⁴. أما الحديث الثاني، فإنه يفيد أن الرسول ﷺ كان في البيت الحرام⁵³⁵ حين نزل جبريل عليه السّلام، أو في الحطيم أو الحجر بالذّات من المسجد الحرام⁵³⁶، فالحديثان بظاهرها يتعارضان، ولا نرجح أحدهما على الآخر لأن الجمع بينهما كان ممكناً. ويمكن الجمع بأن الرسول ﷺ حين نزل جبريل عليه السّلام، كان في بيته ﷺ، ثم أخرجه ﷺ جبريل عليه السّلام من بيته إلى المسجد الحرام، ووقعت حادثة شق صدره ﷺ وغسل قلبه ﷺ هناك⁵³⁷.

ثانياً: التطبيقات التي تخالف الضابط

ومن جانب آخر، يجد الباحث أن بعض الروايات المتعارضة التي لا يمكن الجمع بينهما، منها روايتان متعلقتان بقصة إسلام أبي ذر الغفاري. فجاءت الروايتان من خلال صحابين، هما عبد الله بن

⁵³⁴ البخاري. 2002. صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب ذكر إدريس عليه السّلام وقول الله تعالى {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا}. ج. 4: 135. رقم الحديث 3342.

⁵³⁵ المصدر نفسه. ج. 3. ص. 1173. رقم الحديث 3035. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات. ج. 1: 149. رقم الحديث 164.

⁵³⁶ العسقلاني. 1960. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. 7. ص. 204.

⁵³⁷ انظر: المصدر نفسه. ج. 7. ص. 204. العمري. 1994. التيسيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات التيسيرة النبوية. ج. 1. ص. 189.

عَبَّاسٌ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ⁵³⁸، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّامِتِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ⁵³⁹، وَبَيْنَهُمَا تَعَارُضٌ عَنِ تَفْصِيلِ قِصَّةِ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ، وَمِنْ أَوْضَحِ التَّعَارُضِ بَيْنَهُمَا، أَنَّ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ ذَكَرْتَ فِيهِ ضِيَاةَ عَلِيِّ لِأَبِي ذَرٍّ مَدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَمُسَاعَدَتَهُ فِي تَرْتِيبِ اللَّقَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ بَعْدَ تِلْكَ الْمَدَّةِ، خِلَافًا لِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ أَبَا ذَرٍّ لَقِيَ الرَّسُولَ ﷺ قَرَبَ الْكَعْبَةِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ تَذَكَرْ هَذِهِ الرَّوَايَةَ عَلِيًّا. وَقَدْ حَاوَلَ ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ بِوَضْعِ الْإِحْتِمَالَاتِ، وَمِنْ أَمْزَجَهَا أَنَّ أَبَا ذَرٍّ لَقِيَ الرَّسُولَ ﷺ مَعَ عَلِيِّ أَوَّلًا، ثُمَّ لَقِيَهُ ﷺ قَرَبَ الْكَعْبَةِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ثَانِيًا، أَوْ بِالْعَكْسِ⁵⁴⁰. وَالَّذِي يَرَاهُ الْبَاخِثُ أَنَّ هَذَا الْإِحْتِمَالَ لِلْجَمْعِ فِيهِ تَكَلُّفٌ شَدِيدٌ، لَا سِيَّمَا أَنَّ بَيْنَهُمَا أَوْجَهَ تَعَارُضٍ أُخْرَى⁵⁴¹، وَلِذَلِكَ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: "وَقَدْ ظَهَرَ بَيْنَ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ وَبَيْنَ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ تَبَاعُدٌ وَإِخْتِلَافٌ فِي مَوْضِعٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ هَذَا بَحِيثٌ يَبْعُدُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فِيهِ..."⁵⁴². وَقَدْ ذَهَبَ الْعُمَرِيُّ إِلَى تَرْجِيحِ رَوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ حَيْثُ قَالَ: "وَعَلَى آيَةِ حَالٍ فَالْقَاعِدَةُ أَنَّ الْأَصْحَحَّ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ لِذَلِكَ يَلْزَمُ عِنْدَ التَّعَارُضِ اعْتِمَادُ رَوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ..."⁵⁴³ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

⁵³⁸ الْبُخَارِيُّ. 2002. صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ. كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ. بَابُ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ج. 5: 47. رَقْمُ الْحَدِيثِ 3861.
⁵³⁹ مُسْلِمٌ. 2006. صَحِيحُ مُسْلِمٍ. كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ. بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ج. 4: 1923.
 رَقْمُ الْحَدِيثِ 2474.
⁵⁴⁰ مُسْلِمٌ. 2006. صَحِيحُ مُسْلِمٍ. كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ. بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ج. 4: 1919.
 رَقْمُ الْحَدِيثِ 2473.
⁵⁴¹ الْعَسْقَلَانِيُّ. 1960. فَتْحُ الْبَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ. ج. 7. ص. 175.
⁵⁴² الْمَصْدَرُ السَّابِقُ. ج. 7. ص. 173-176.
⁵⁴³ الْقُرْطُبِيُّ، أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ. 1996. الْمَفْهُومُ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِمٍ. بِيْرُوت: دَارُ ابْنِ كَثِيرٍ. ج. 6. ص. 401.
 الْعُمَرِيُّ. 1994. التَّبَيُّرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيحَةُ مَحَاوَلَةٌ لِتَطْبِيقِ قَوَاعِدِ الْمُحَادِّثِينَ فِي نَقْدِ رَوَايَاتِ التَّبَيُّرَةِ النَّبَوِيَّةِ. ج. 1. ص. 144.

2,2,5 المطلب الثاني: تطبيق قاعدة النَّاسخ والمنسوخ

بعد عدم إمكانية الجمع بين روايات السِّيرِ والمغازي المتعارضة، لا بد للباحث الاطلاع على قضية النَّاسخ والمنسوخ، فالنَّاسخ مقدم على المنسوخ كما هو معروف. قال الشَّافعي رحمه الله: "وفي الحديث ناسخ ومنسوخ، فإذا لم يحتل الحديثان إلا الاختلاف، كان أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً، ولا يستدل على النَّاسخ والمنسوخ إلا بخبر عن رسول الله ﷺ، أو بقول، أو بوقت يدل على أن أحدهما بعد الآخر، فيعلم أن الآخر النَّاسخ، أو بقول من سمع الحديث" 544.

أولاً: التطبيقات التي توافق الضوابط

ومن الأمثلة على ذلك، يبدو وجه التناقض بين حديث رواه مسلم عن عائشة زوج النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ أنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر. فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل. قد كان يذكر منه جرأة ونجدة. ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه. فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: جئت لأتبعك وأصيب معك. قال له ﷺ: "تؤمن بالله ورسوله؟" قال: لا. قال: "فارجع. فلن أستعين بمشرك" 545، وبين حديث رواه الحاكم أن الرَّسُولَ ﷺ بعث إلى صفوان بن أمية، فسأله أدرعاً مائة درع، وما يصلحها من عدتها، فقال: أغصباً يا محمَّد؟ قال: "بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك"، ثم خرج رسول الله ﷺ سائراً 546.

544 الشَّافعي، محمَّد بن إدريس. 1986. اختلاف الحديث. بيروت: دار الكُتُب العلميَّة. ص. 40.

545 مسلم. صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر. ج. 3: 1449. رقم الحديث 1817.

546 الحاكم. 1990. المستدرک على الصَّحیحین. كتاب المغازي والسرايا. ج. 3: 51. رقم الحديث 4369.

فالحديث الأوّل يفيد كراهة الرّسول ﷺ الاستعانة بالكافر في الغزوة من خلال قوله ﷺ: "فارجع. فلن أستعين بمشرك"، وإن هذه الواقعة حدثت قبل يوم بدر. أما الحديث الثّاني، فإنه أشار إلى استعانة الرّسول ﷺ بصفوان بن أميّة، وكان مشركاً وقتئذ، وهذه الحادثة كانت في غزوة حنين، وبالتّالي يكون الحديث الثّاني ناسخاً للحديث الأوّل، لتأخّر حدوثه زماناً. قال الحازمي ناقلاً عن طائفة من العلماء الذين أجازوا الاستعانة بالكافر في الغزوة: "...وتمسكوا في ذلك بما رواه ابن عبّاس أن رسول الله ﷺ استعان بيهود بني قينقاع ورضخ لهم، واستعان بصفوان بن أميّة في قتال هوازن يوم حنين، قالوا: وتعين المصير إلى هذا؛ لأن حديث عائشة كان يوم بدر، وهو متقدم فيكون منسوخاً"⁵⁴⁷.

ثانياً: التّطبيقات التي تخالف الضّابط

وجد الباحث في بعض المصادر تطبيقاً يخالف الضّابط في نسخ روايات السيّر، مثل التّعاض بين حديثي: "أفطر الحاجم والمحجوم"⁵⁴⁸ و"احتجم الرّسول ﷺ وهو صائم"⁵⁴⁹، حيث ذهب بعض العلماء مثل الشّافعي وابن عبد البر، إلى أن الحديث الثّاني ناسخ للحديث الأوّل، بحجة أن الحديث الأوّل كان في فتح مكّة سنة ثمان، وأن الحديث الثّاني كان في حجّة الوداع سنة عشر. ويرى الباحث صحة قول أن الحديث الأوّل وقع في فتح مكّة بدليل ما رواه الإمام الأحمد في مسنده أن شدّاد بن أوس مر مع النّبي ﷺ زمن الفتح على رجل يحتجم بالبقيع لثمان عشرة خلت من رمضان وهو آخذ بيده⁵⁵⁰، فقال بالحديث

⁵⁴⁷ الحازمي، محمّد بن موسى بن عثمان. د. ت. الاعتبار في التّاسخ والمنسوخ من الآثار. حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية. ص. 218.
⁵⁴⁸ البخاريّ. 2002. صحيح البخاريّ. كتاب الصّوم. باب الحجامة والقيء للصّائم. ج. 3: 33.
⁵⁴⁹ أبو داود. 1904. سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود. كتاب الصّوم. باب الرّخصة في ذلك. ج. 2: 281. رقم الحديث 2372.
⁵⁵⁰ ابن حنبل. 2001. مسند الإمام أحمد بن حنبل. حديث شدّاد بن أوس. ج. 28: 335. رقم الحديث 17112.

الأول. أما الحديث الثاني لم يجد الباحث - حسب إطلاع الباحث المتواضع - أي مصدر مقنع يشير إلى أنه وقع في حجة الوداع، وقد نصَّ على هذه النقطة ابن حجر في كتابه حيث قال: "تقدم أن الذي زاده الرَّافعي في قوله في حجة الوداع لم أره صريحاً في طرق هذا الحديث، لكن ذكره الشَّافعي، وابن عبد البر، وغير واحد، وفيه نظر، لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مفطراً، كما صحَّ أن أم الفضل أرسلت إليه بقدر لبن، فشربه وهو واقف بعرفة..."⁵⁵¹ ، وبالتالي لا يصحُّ وقوع الحديث الثاني في حجة الوداع، ولذلك لا يصلح إثبات النَّسخ بين الحديثين المتعارضين، لعدم إمكان تعيين أيهما مقدَّم على الآخر. والله أعلم.

3,2,5 المطلب الثالث: تطبيق قاعدة التَّرجيح

إذا لم يقدر الباحث على تعيين الروايات النَّاسخة من الروايات المنسوخة، لا بد حينها من اللجوء إلى التَّرجيح بينها بأحد المرجِّحات. قال الشَّافعي رحمه الله: "... ولم نجد عنه حديثين مختلفين إلا ولهما مخرج، أو على أحدهما دلالة بأحد ما وصفت إما بموافقة كتاب أو غيره من سنته أو بعض الدلائل"⁵⁵². ومثال ذلك خروج الرُّسول ﷺ مع جيشه إلى ديار بني المصطلق، ووقع ذلك في شعبان من السنة الخامسة للهجرة عند أكثر العلماء، وهو قول موسى بن عقبة⁵⁵³، ووافقه الواقدي⁵⁵⁴، ومن المتأخرين مثل ابن قيم الجوزية⁵⁵⁵، والدَّهبي⁵⁵⁶. أما ابن إسحاق، فقد انفرد في تعيين سنة هذه الحادثة، وهو السنة

⁵⁵¹ العسقلاني، أحمد بن علي بن محمَّد. 1989. التَّلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرَّافعي الكبير. بيروت: دار الكُتب العلميَّة. ج. 2. ص. 415.

⁵⁵² الشَّافعي، محمَّد بن إدريس. 1938. الرِّسالة. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاد. ص. 216.

⁵⁵³ ابن كثير. 1988. البداية والنهاية. ج. 3. ص. 296.

⁵⁵⁴ الواقدي. 1409. المغازي. ج. 1. ص. 404.

⁵⁵⁵ الجوزية. 1994. زاد المعاد في هدي خير العباد. ج. 3. ص. 229.

⁵⁵⁶ الدَّهبي. 2003. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. ج. 1. ص. 170.

السَّادسة للهجرة⁵⁵⁷، ويعدُّ قول ابن إسحاق شاذًّا لاتفاق العلماء على أن سعد بن معاذ اشترك في غزوة بني المصطلق، وتوفي في غزوة بني قريظة بعد الخندق في السَّنة الخامسة⁵⁵⁸، وإن هذا الأمر أبطل ما ادعاه ابن إسحاق أن غزوة بني المصطلق وقعت في السَّنة السَّادسة، لأن غزوة بني المصطلق لا يمكن أن تكون إلا قبل الخندق. والله أعلم.

3،5 المبحث الثالث: أن يرجع الباحث إلى المصادر الحديثية الأصلية والمصادر التاريخية المعتمدة

يقصد الباحث بالمصادر الحديثية الأصلية كُتُب الأحاديث المسندة مثل موطأ الإمام مالك، وصحيح البخاري ومسلم، والمسانيد كمسند الإمام أحمد، ومسند البزار، والسُّنن، كسُّنن أبي داود، وسُّنن التَّسائي، وسُّنن ابن ماجه، وغيرها من كُتُب الأحاديث المسندة الأخرى. وقد جرد هؤلاء العلماء أحاديث أو روايات تتعلَّق بالسِّيَر والمغازي في أبواب مستقلة في كُتُبهم، مثل صحيح البخاري، فقد خصَّص الإمام البخاري بابين من كتابه لأحاديث السِّيَر والمغازي، هما كتاب الجهاد والسِّيَر، وكتاب المغازي⁵⁵⁹، ومثل صحيح مسلم، فقد وضع كتاب الجهاد والسِّيَر جمع فيه الأحاديث المتعلِّقة بالمغازي والسير⁵⁶⁰، وغيرها من المصادر الحديثية الأخرى. وقد تكون هذه الأحاديث متفرِّقة في الأبواب المختلفة في كُتُبهم مثل قصَّة صلاة الرُّسول ﷺ على شهداء أحد، فإنها واردة في كتاب الجنائز في صحيح البخاري⁵⁶¹، وإن كانت تتعلَّق بإحدى الغزوات مباشرة.

⁵⁵⁷ ابن كثير. 1988. البداية والنهاية. ج. 4. ص. 178.

⁵⁵⁸ الترمذي. 1975. سُنن الترمذي. أبواب المناقب. باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه. ج. 5: 690. رقم الحديث. 3849.

⁵⁵⁹ انظر: البخاري. 2002. صحيح البخاري. ج. 4. ص. 14، ج. 5. ص. 71.

⁵⁶⁰ انظر: مسلم. 1955. صحيح مسلم. ج. 3. ص. 156.

⁵⁶¹ انظر: المصدر نفسه. كتاب الفضائل. باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته. ج. 4. ص. 796.

وقد يتساءل بعض النَّاس أسباب احتياجنا إلى المصادر الحديثية الأصلية في موضوع السِّير والمغازي، فنَجيب أولاً إن كل شيء له علاقة بالرَّسول ﷺ والصَّحابة رضي الله عنهم، لا بدَّ من الرجوع فيه إلى القرآن والأحاديث سواء أكان في السِّير والمغازي أو غيرها. ثانياً، الروايات المنسوبة إلى الرَّسول ﷺ عموماً تحتاج إلى التَّأكد من صحَّة نسبتها، وهذا التَّأكد يتحقَّق من خلال الاطلاع على أحوال الأسانيد صحَّةً وضعفًا، وهي متوفرة في المصادر الحديثية الأصلية فقط. وبالإضافة إلى ذلك، إن عدم الرجوع إلى المصادر الحديثية الأصلية سوف يفضي إلى ضياع هذا الميراث النَّبويِّ الدَّهبيِّ، وفتح فرصة دخول ما لا يصح من القصص والروايات، وكذلك من الاسرائيليات لتحلَّ محلَّ ما يصحُّ من الروايات المتعلِّقة بالسِّير والمغازي.

وفضلاً عن ذلك، فإن احتياجنا إلى هذا النوع من المصادر لا ينحصر في نطاق الرجوع المجرد، بل

تعدى إلى تقديم هذه المصادر على سائر المصادر الأخرى. قال أكرم ضياء العمري:

"ولا شك أن مادة السِّيرة في كُتُب الحديث موثقة يجب الاعتماد عليها وتقديمها على روايات كُتُب المغازي والتَّواريخ العامَّة، وخاصة إذا أوردتها كُتُب الحديث الصَّحيحة لأنها ثمره جُهود جبارة قدَّمها المحدثون عند تمحيص الحديث ونقده سنداً وامتناً، وهذا التدقيق والتَّقد الذي حظي به الحديث لم تحظ به الكُتُب التَّاريخية..."⁵⁶² ، والجدير بالذكر هنا أن هذا التقديم لا ينفي احتياجنا إلى المصادر الأخرى، خاصة المصادر التَّاريخية القديمة، مثل سيرة ابن إسحاق، ومغازي الواقدي وغير ذلك، لاحتوائها على الموارد التَّاريخية الضخمة. وكذلك إن المصادر الحديثية الأصلية قد لا تُدخل بعض التَّفصيل التَّاريخية لضعف

⁵⁶² العمري. 1994. السِّيرة النَّبوية الصَّحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحلِّين في نقد روايات السِّيرة النَّبوية. ص. 50

رتبتها حديثاً، وهذا سوف يؤدي إلى قصور في التّصوّر الكامل لقصّة ما في التّاريخ الإسلامي، ولهذا السبب نحتاج إلى المصادر التّاريخيّة لإكمال هذا النّقصان. وإضافة إلى ذلك، فإن القصص التّاريخيّة لم ترتّب حسب التّرتيب الزّمني في المصادر الحديثيّة الأصليّة خلافاً للمصادر التّاريخيّة، ولذلك نحتاج إلى المصادر التّاريخيّة للتّأكد من تسلسل القصص التّاريخيّة زمنياً.

قال العُمريّ بعد ذكره لمصادر السّيرة النّبويّة في مقدّمة كتابه:

"هذا أهم ما وصل إلينا من مصادر السّيرة، وهي كما ذكرت تلي من حيث الدقة القرآن الكريم والمحدث الشّريف، ولكن هذا لا يعني أن كل ما أوردته كُتّب السّيرة له نفس القيمة من حيث الصّحّة، بل ولا يشترط أن يكون كله صحيحاً، بل فيه الصّحيح والضّعيف، وينبغي عند دراسة السّيرة الاعتماد على الصّحيح أولاً ثم استكمال الصورة بما هو حسن أو مقارب للحسن، ولا يلجأ إلى الضّعيف فيما له أثر في العقائد أو التّشريع، ولا بأس من الأخذ به - عندما لا نجد غيره من الرّوايات القويّة - فيما سوى ذلك من أخبار تتعلّق بالحث على مكارم الأخلاق أو وصف لعمران أو صناعات أو زرع، أو ما شاكل ذلك" 563.

وبالنظر في صنيع العلماء المتعلق بالسّير والمغازي، نجد أنهم في تأليفهم استعانوا بالمصادر الحديثيّة والمصادر التّاريخيّة بغض النظر عن عُصورهم، لأن هذه المصادر كفيّلة بالرّوايات التّاريخيّة المتعلّقة بسير الرّسول ﷺ ومغازيه ﷺ، وهذه الرّوايات ذكرت فيها بأسانيد مؤلفيها، وهي مما تميّزت به عن غيرها من

⁵⁶³ العُمريّ. 1994. السّيرة النّبويّة الصّحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحرّرين في نقد روايات السّيرة النّبويّة. ج. 1. ص. 69.

المصادر الأخرى. وسيعرض الباحث بعض الأمثلة من كُتُب السِّيرِ والمغازي للدلالة على رجوع العلماء إلى هذين المصدرين، من خلال النقاط الآتية:

أولاً؛ في كتاب السِّيرة الحلبية لنور الدين الحلبي، استعان الحلبي بالمصادر الحديثية الأصلية، كصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسُنن الترمذي، وسُنن أبي داود، وسُنن ابن ماجه، وسُنن النسائي، وغيرها من المصادر الحديثية. ومن أمثلتها، استعانته بما رواه الإمام البخاري في ذكر أربع عمرات الرسول ﷺ⁵⁶⁴، واستعانته بما رواه أبو داود في سُننه، في باب بدء الأذان ومشروعته⁵⁶⁵، وعن تفاصيل غزوة تبوك⁵⁶⁶. واستعان الحلبي بالمصادر التاريخية أيضاً، كما استعان بها العلماء من قبله في مؤلفاتهم – أي في كُتُب السِّيرة – ككتاب السِّيرة والمغازي لموسى بن عفة، وسيرة ابن إسحاق، ومغازي الواقدي، وشرف المصطفى لأبي

⁵⁶⁴ الحلبي. 2006. السِّيرة الحلبية أو إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون. ج. 3. ص. 389. البخاري. 2002. صحيح البخاري. أبواب العمرة. باب كم اعتمر النبي ﷺ. ج. 3: 2. رقم الحديث 1775. النظر لمزيد من الأمثلة: الحلبي. 2006. السِّيرة الحلبية أو إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون. ج. 1. ص. 302، 335، 528. البخاري. 2002. صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق. باب صفة إبليس وجنوده. ج. 4: 125. رقم الحديث 3287، كتاب التفسير. باب قوله: { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } . ج. 4: 1743. رقم الحديث 4432.

⁵⁶⁵ الحلبي. 2006. السِّيرة الحلبية أو إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون. ج. 2. ص. 142. أبو داود. 1904. سُنن أبي داود مع شرحه عون المعبود. ج. 1: 186. رقم الحديث 532. قال الشيخ الأرنؤوط: رجاله ثقات إلا أن حماداً – وهو ابن سلمة – أخطأ في رفعه كما قال علي ابن المدني وأحمد والذهلي والبخاري وأبو حاتم والترمذي والدارقطني، وهو ظاهر صنيع المصنف هنا، والصحيح أن هذه القصة وقعت لمؤذن عمر.

⁵⁶⁶ الحلبي. 2006. السِّيرة الحلبية أو إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون. ج. 3. ص. 195. أبو داود. سُنن أبي داود مع شرحه عون المعبود. ج. 1: 170. رقم الحديث 447. قال الشيخ الأرنؤوط: إسناده حسن، عبد الرحمن بن أبي علقمة – وهو الثقفى – ذكره غير واحد في الصحابة، ولا تصح له صحبة كما جزم بذلك أبو حاتم وغيره، وقد روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وباقي رجاله ثقات

سعد النيسابوري، وغيرها من المصادر التاريخية. ومن أمثلتها، ما رواه موسى بن عقبة عن قتلى المشركين في غزوة بدر⁵⁶⁷، وعن جلاء يهود بني النضير⁵⁶⁸، ونحوها.

ثانياً: في كتاب عيون الأثر لابن سيد الناس، أورد ابن سيد الناس روايات السيِّر المأخوذة من المصادر الحديثية، منها صحيح البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، وابن ماجه، وغير ذلك من المصادر الحديثية الأصلية. ومن أمثلتها، استعانت بروايات من صحيح البخاري في بيان عدد قتلى المشركين في غزوة أحد⁵⁶⁹، وبيان حديث الإفك⁵⁷⁰، وكذلك استعانت بسنن الترمذي في بيان أسماء الرسول ﷺ⁵⁷¹، وبيان سفر الرسول ﷺ مع عمه ﷺ أبي طالب إلى الشام وخبره مع بحيرى الرّاهب⁵⁷². ولا يكفي بالاستعانة بالمصادر الحديثية، بل يلجأ ابن سيد الناس إلى الاستعانة بالمصادر التاريخية أيضاً، منها سيرة ابن إسحاق، ومغازي الواقدي، والطبقات الكبرى لابن سعد، والدرر في اختصار المغازي والسيِّر لابن عبد البر، وغيرها من المصادر التاريخية المعتمدة. ومن أمثلتها، ما رواه ابن إسحاق عن قصّة حمل آمنة أم الرسول ﷺ، ووفاة

⁵⁶⁷ الحلبي. 2006. السيرة الحلبية أو إنسان العيون في سيرة الأئمة المؤمنون. ج. 2. ص. 236.

⁵⁶⁸ المصدر نفسه. ج. 2. ص. 363.

⁵⁶⁹ انظر: ابن سيد الناس. 1993. عيون الأثر في فنون المغازي والشتمائل والسيِّر. ج. 1. ص. 331.

⁵⁷⁰ انظر: المصدر نفسه. ج. 2. ص. 133.

⁵⁷¹ انظر: المصدر نفسه. ج. 1. ص. 38. انظر: الترمذي. 1975. سنن الترمذي. ج. 5: 135. رقم الحديث 2840. قال الألباني:

صحيح.

⁵⁷² انظر: عيون الأثر. ج. 1. ص. 54. انظر: سنن الترمذي - ت شاكر. ج. 5: 590. رقم الحديث 3620. قال الألباني: صحيح لكن

ذكر بلال فيه منكر.

أبيه ﷺ⁵⁷³، وما رواه الواقدي عن كتاب الرُّسُول ﷺ إلى المنذر بن ساوي العبدي⁵⁷⁴، والحارث بن أبي شمر الغساني⁵⁷⁵. وما رواه ابن سعد في الطَّبَقَات الكُبرى عن تفاصيل قصَّة غزوة بدر الكُبرى⁵⁷⁶، وغزوة أحد⁵⁷⁷، وغزوة الطَّائِف⁵⁷⁸.

ثالثاً: في كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي، اعتمد المؤلف على المصادر الحديثية الأصلية مثل صحيح البخاري، ومنها في ما كان يشتغل به الرُّسُول ﷺ قبل أن يتزوج خديجة⁵⁷⁹، ومثل ما رواه الإمام مسلم في صحيحه في باب فضل نسب النَّبي ﷺ⁵⁸⁰، واعتمد المؤلف

-
- ⁵⁷³ انظر: ابن سيد النَّاس. 1993. *عيون الأثر في فنون المغازي والشَّمائل والسِّيَر*. ج. 1. ص. 31-32. وانظر: ابن إسحاق. 1978. *سيرة ابن إسحاق*. ص. 45.
- ⁵⁷⁴ قدم على رسول الله ﷺ المدينة من البحرين في وفد إياس بن عبد القيس حين أسلموا. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمَّد. 1992. *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*. بيروت: دار الجليل. ج. 4. ص. 1448. وانظر: ابن سيد النَّاس. 1993. *عيون الأثر في فنون المغازي والشَّمائل والسِّيَر*. ج. 2. ص. 334.
- ⁵⁷⁵ هو من أمراء غسان في أطراف الشَّام. كانت إقامته بغوطة دمشق. وأدرك الإسلام، فأرسل إليه النَّبي ﷺ كتاباً مع شجاع بن وهب. ومات في عام الفتح (أي فتح مكَّة). انظر: الزُّركلي. 2002. *الأعلام*. ج. 2. ص. 154-155. وانظر: ابن سيد النَّاس. 1993. *عيون الأثر في فنون المغازي والشَّمائل والسِّيَر*. ج. 2. ص. 339.
- ⁵⁷⁶ انظر: ابن سيد النَّاس. 1993. *عيون الأثر في فنون المغازي والشَّمائل والسِّيَر*. ج. 1. ص. 287. ابن سعد. 1990. *الطَّبَقَات الكُبرى*. ج. 2. ص. 15.
- ⁵⁷⁷ انظر: ابن سيد النَّاس. 1993. *عيون الأثر في فنون المغازي والشَّمائل والسِّيَر*. ج. 2. ص. 6. ابن سعد. 1990. *الطَّبَقَات الكُبرى*. ج. 2. ص. 28.
- ⁵⁷⁸ انظر: ابن سيد النَّاس. 1993. *عيون الأثر في فنون المغازي والشَّمائل والسِّيَر*. ج. 2. ص. 250. ابن سعد. 1990. *الطَّبَقَات الكُبرى*. ج. 2. ص. 120.
- ⁵⁷⁹ الصَّالحي، محمَّد بن يوسف الشَّامي. 1993. *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*. ج. 1. ص. 10. البخاري. 2002. *صحيح البخاري*. كتاب الإجارة. باب رعي الغنم على قراريط. ج. 3: 88. رقم الحديث 2262.
- ⁵⁸⁰ الصَّالحي. 1993. *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*. ج. 1. ص. 230. مسلم. 1955. *صحيح مسلم*. كتاب الجهاد والسِّيَر. باب صلح الحديبية في الحديبية. ج. 4: 1782. رقم الحديث 2276.

على المصادر التاريخية أيضاً مثل سيرة ابن إسحاق، ومن أمثلتها قصة استعارة الرسول ﷺ أدرعاً من صفوان بن أمية⁵⁸¹، ونحوها من المصادر التاريخية.

رابعاً: في كتاب زاد المعاد لابن قيم الجوزية، استعان ابن قيم الجوزية بالمصادر الحديثية، منها استعانته بصحيح مسلم في بيانه لما حدث في غزوة أحد من حث الرسول ﷺ لبعض الأنصار⁵⁸²، وذكره بما رواه أبو داود عن إهداء يهودية بخير شاة مسمومة للرسول ﷺ التي سببت موت بشر بن البراء، وأمر الرسول ﷺ بقتل تلك اليهودية⁵⁸³. وقد استعان أيضاً بما رواه المؤرخون في كتب التاريخ مثل ما رواه الواقدي عن أسماء القبائل التي دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام، منها بني عامر بن صعصعة، ومحارب بن حصفة، وفزارة، وغسان⁵⁸⁴، ومثل ما رواه ابن إسحاق عن إسلام عروة بن مسعود من بني ثقيف، واستشهاده بعد أن دعا قومه إلى الإسلام⁵⁸⁵.

4،5 المبحث الرابع: أن يراعي ضوابط استخراج الفوائد من روايات السير

وفي هذا المبحث، يحاول الباحث وضع بعض الضوابط المتعلقة باستخراج الفوائد من روايات السير، وهي كالآتي:

⁵⁸¹ الصالحى. 1993. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. ج. 5. ص. 312. ابن هشام. 1955. السيرة النبوية لابن هشام. ج. 2. ص. 440.
⁵⁸² انظر: الجوزية. 1994. زاد المعاد في هدي خير العباد. ج. 3. ص. 182.
⁵⁸³ انظر: المصدر نفسه. ج. 3. ص. 298.
⁵⁸⁴ انظر: المصدر نفسه. ج. 3. ص. 39.
⁵⁸⁵ انظر: المصدر نفسه. ج. 3. ص. 436.

1،4،5 أولاً: استبعاد الغلو في استخراج الفوائد المستنبطة من روايات السير

أطلق الغلو على معنى مجاوزة الحد والتشدد كما قال الله تعالى في القرآن: ﴿يَاهْلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾⁵⁸⁶، أي عدم مجاوزة الحد الذي قدره الشرع. والذي يقصده الباحث بعدم الغلو في استخراج الفوائد من روايات السير هو عدم المبالغة في تعيين الحكم المستخرجة عن حادثة ما تتعلق بالسير والمغازي، لأن هذه المبالغة سوف تجر إلى فهم خاطئ للسير النبوية نفسها. ومن أمثلة ذلك غلو الروافض في فهم قول الرسول ﷺ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ" في حادثة غدِير حُجْم، واستدلوا بها في إثبات حق علي بن أبي طالب في الولاية انتصاراً لأفكارهم في الإمامة والولاية، وإن علياً مقدم على غيره من الخلفاء الثلاثة، وهو مع الرسول ﷺ بمنزلة هارون مع موسى عليهما السلام.⁵⁸⁷ وقد روى هذه القصة الإمام أحمد في مسنده، عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: عَزَوْتُ مَعَ عَلِيِّ الْيَمَنِ فَرَأَيْتُ مِنْهُ جَفْوَةً، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرْتُ عَلِيًّا فَتَنَفَّقْتُهُ، فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَغَيَّرُ فَقَالَ: "يَا بُرَيْدَةُ أَلَسْتُ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟" قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ"⁵⁸⁸.

وقد رد على موقف الروافض علماء أهل السنة والجماعة بثلاث حجج، وهي:

⁵⁸⁶ القرآن. النساء 4:171

⁵⁸⁷ انظر: الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه. 1984. العقد الفريد. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 5. ص. 61.

⁵⁸⁸ قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أبي عبد الرحيم الكندي، لكن متن الحديث صحيح ورد من طرق كثيرة تزيد على ثلاثين صحابياً. انظر: ابن حنبل. 2001. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج. 2: 71. رقم الحديث 641.

1. إن لفظ "مولى" الوارد في قول الرسول ﷺ لا يُعني مفهوم "الولاية" كما فهمته الروافض، بل

يعني مفهوم المحبة و ضد العدو، أي: مَنْ كُنْتُ أَحِبُّهُ فَعَلِيٌّ يُحِبُّهُ. 589

2. من الأمور المستغربة أن يعلن الرسول ﷺ ولايته لعلي رضي الله عنه في الوقت الذي استخلفه

بالمدينة في غزوة تبوك. 590

3. إن قياس الرسول ﷺ مع علي بن أبي طالب بموسى وهارون يعتبر قياساً فاسداً لأنه ليس لموسى

خليفة بعده، ولكن للرسول ﷺ خليفة بعده، وكذلك فقد توفي هارون عليه السلام قبل موسى

عليه السلام، وما توفي علي بن أبي طالب إلا بعد وفاة الرسول ﷺ. 591

و خلاصة القول إن من الضوابط التي لا بد من مراعاتها هي استبعاد الغلو في استخراج الدروس

والفوائد من روايات السيرة، وأن لا تستخدم روايات السيرة في تأييد أفكار معينة ظلماً. والله أعلم.

2،4،5 ثانياً: الابتعاد عن استخراج الفوائد لأغراض نفسية دنيوية

إن كل عمل تجاري يحتاج إلى استراتيجيات مناسبة لكسب الأرباح المقنعة فيه. ومع ذلك، لا

ينبغي لأحد استغلال النصوص الشرعية والتي منها روايات السيرة في التجارة لأن هذا العمل يعد تحقيراً

لقداسة هذه النصوص الربانية، لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمناً قليلاً وَإِنِّي فَأَتِفُونَ﴾ 592، وقوله

589 انظر: الهروي، علي بن محمد. 2002. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. بيروت: دار الفكر. ج. 9، ص. 3937. رقم 6091.

590 انظر: السيوطي، ومحمد عبد الغني المجددي، والحسين بن عبد الرحمن الحنفي. شرح سنن ابن ماجه. كراتشي: قديمي كتب خانه. ص. 12.

591 المصدر السابق.

592 القرآن. البقرة 1:41

تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ أَرْبَابُهُمْ ثُمَّ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ
مِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾⁵⁹³.

وفي العصر الرَّاهن، نجد بعض التَّجَّار يشغلون أنفسهم بنشر فضائل أطعمة معينة مذكورة في الأحاديث لجلب الأرباح من تجارتها، مثل التَّمْر، والحَبَّة السَّوداء، والعسل، وفضائل بعض وسائل العلاج، مثل الحمامة. وكذلك نجد بعضهم يعلنون الآثار التَّاريخية في أمكنة معينة، وبيالغون في تحديد نفقات الرحلة إليها استجلابًا للأرباح الدنيوية المضاعفة. ومن جانب آخر، نجد بعض المؤسسات تنظِّم برنامج التبرك بآثار النُّبوة التي لا نعلم صحَّة نسبة بعضها لرسول الله ﷺ ابتغاءًا للأرباح المادية المؤقتة.

ومن أمثلة ذلك، استخدم بعض التَّجَّار روايات السيِّر المتعلِّقة بفضائل التَّمْر، منها ما رواه ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: كنا عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: "أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ شَبِيهَةٍ، أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَفُّهَا وَلَا وَلَا وَلَا، تُؤْنِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ"، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنه لا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ. فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هِيَ النَّخْلَةُ"، فَلَمَّا قُئْنَا، قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَاهُ، وَاللَّهِ! لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ أَرَكُم تَكَلَّمُونَ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا⁵⁹⁴، وما روته عائشة رضي الله عنها أن النَّبِيَّ

⁵⁹³ القرآن. البقرة 2:79

⁵⁹⁴ البخاري. 1993. صحيح البخاري. كتاب التفسير. باب: قوله: كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْنِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ. ج. 4: 1735. رقم الحديث 4421. ومسلم بن حجاج. 2006. صحيح مسلم. ج. 4. ص. 2166.

صلى الله عليه وسلم قال: "يا عائشة! بيت لا تمر فيه جياغ أهله أو جاع أهله". قالها مرتين أو ثلاثاً.⁵⁹⁵

وهذه الروايات مشهورة في السنة يستعملها كثير من التجار لاجتذاب الناس إلى تجارتهم، ويشترون منهم، ويستعملون هذه الروايات لأغراض دينوية سلبية، وقد حذر الرسول ﷺ من هذه الصفات الذميمة في قوله ﷺ: "بادرُوا بالأعمالِ فتناً كقطع الليلِ المظلمِ يُصبحُ الرجلُ مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبحُ كافراً يبيعُ دينه بعرضٍ من الدنيا"⁵⁹⁶.

5.5 المبحث الخامس: أن يراعي أخلاقيات الباحث في التعامل مع روايات السيرة

وبعد تحديد الضوابط العلمية والمنهجية للتعامل مع روايات السيرة والمغازي، يرى الباحث أهمية ذكر بعض النقاط المتعلقة بالآداب والأخلاق، التي ينبغي لمن أراد أن يتعمق في بحث روايات السيرة والمغازي مراعاتها، ولازم نفسه بها، وهي ربما تتناسب مع معظم المجالات التي لها علاقة وثيقة بالعلم والمعرفة، لأن العلم في الإسلام ليس بمجرد اكتسابه، وجمعه، وإثبات شيء جديد به، كما فهمه الغرب، ولكن لكل من هذه الطرق والإجراءات آداب خاصة، اهتم بها الإسلام، وهي منبثقة من تعاليم القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة. قال الرسول ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"⁵⁹⁷، وقوله ﷺ: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في

⁵⁹⁵ مسلم بن حجاج. 2006. صحيح مسلم. ج. 6: 123. رقم الحديث 2046.

⁵⁹⁶ المصدر السابق. ج. 1: 76. رقم الحديث 118.

⁵⁹⁷ ابن حنبل. 2001. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج. 14: 513. رقم الحديث 8952. قال الأرنؤوط: صحيح. إسناده قوي.

أعلى الجنة لمن حسن خلقه"⁵⁹⁸، وقال ابن سيرين: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم"⁵⁹⁹، فإن العلم لا يؤخذ ممن له الإحاطة بالعلم فحسب، بل ممن ضم إلى تلك القدرة على التخلّق بالأداب الكريمة والمحمودة، ويمكن توضيح هذا الضابط من خلال التّقاط الآتية:

1،5،5 المطلب الأول: صفات الباحث في دراسة السيرة

أولاً: الاستعداد بعلم الحديث الكافي لأن السيرة والمغازي تعد فرعاً مما احتوته الأحاديث النبوية الشريفة. ومن ضروريات البحث في السيرة الاستعداد بعلم الحديث استعداداً كافياً مثل علم مصطلح الحديث، وعلم تخريج الحديث، وعلم الجرح والتعديل، ومعرفة المصادر المهمة في هذه العلوم معرفة شاملة، مثل كتاب المحدث الفاضل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (360هـ)⁶⁰⁰، وكتاب معرفة علوم الحديث للحاكم، وكتاب التّفريب والتّيسير للنووي، في علم مصطلح الحديث، وكتاب نصب الرّاية للزيلعي، وكتاب البدر المنير لابن الملقن، وكتاب التلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني، في علم تخريج الحديث، وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، وكتاب معرفة الثقات للعجلي، وكتاب الجرح والتّعديل لابن أبي حاتم، في علم الجرح والتّعديل، وإلا سوف يؤدي إلى الأوهام، وسوء الفهم للأحاديث المتعلّقة بالسيرة.

⁵⁹⁸ أبو داود. 1904. سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود. كتاب الأدب. باب في حسن الخلق. ج. 4: 400. رقم الحديث 4800.

⁵⁹⁹ مسلم. 2006. صحيح مسلم. ج. 1. ص. 14.

⁶⁰⁰ الرّامهرمزي، أبو محمّد الحسن بن عبد الرّحمن بن خلاد الفارسي. 1984. المحدث الفاضل بين الراوي والواعي. بيروت: دار الفكر.

وقد ظهرت في هذه العُصُور المتأخرة فكرة خاطئة تنسب كل الأحاديث ودراساتها إلى الأمور المبنية على الظن⁶⁰¹. وإن هذا الاتجاه السلبي سيفضي إلى فتح باب التهم والشكوك حول الأحاديث النبوية عموماً كمصدر من مصادر التشريع المعتمدة في الإسلام، بل يستحيل أن ينطق بهذا الكلام من عنده فهم صحيح للحديث وعلومه، لأنه من التأويلات المشهورة لمنكري السنة، وأعداء المسلمين. قال الرسول ﷺ: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"⁶⁰². وقد تواترت أقوال العلماء في قبول جميع الأحاديث إذا كانت مقبولة من حيث الرواية، ووجوب الاعتقاد والعمل بها بإجماع المحدثين، والأصوليين، والفقهاء⁶⁰³. قال الشافعي رحمه الله: "إذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أولى أن يؤخذ به من غيره"⁶⁰⁴، وقال يحيى بن محمد بن يحيى: "لا يثبت الخبر عن النبي ﷺ حتى يرويه ثقة عن ثقة، حتى يتناهى الخبر إلى النبي ﷺ بهذه الصفة، ولا يكون فيهم رجل مجهول، ولا رجل مجروح، فإذا ثبت الخبر عن النبي ﷺ بهذه الصفة وجب قبوله والعمل به وترك مخالفته"⁶⁰⁵. وبالتالي، لا بد للباحثين في السيرة من مراعاة هذا الضابط حتى لا يجترأ أحد على التقوُّل على أحاديث الرسول دون العلم بها.

⁶⁰¹ موهايزاد. 1 أكتوبر 2021. "Betulah Nabi Kata Lepas Asar & Subuh Tak Boleh Tidur?". درس صوتية في

موقع يوتيوب. <https://www.youtube.com/watch?v=TqXu-wox9MM>

⁶⁰² البزار. 2009. مسند البزار المنشور باسم البحر الرخار. ج. 16. ص. 247. رقم الحديث 9422. حسنه العلامي. انظر:

العلامي، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكليدي بن عبد الله الدمشقي. 1985. بُعْيَةُ الْمُتَمَسِّمِ فِي سُبَاعِيَّاتِ حَدِيثِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ

أَنَسٍ. بيروت: عالم الكتب. ص. 34.

⁶⁰³ النعيمي، محمود بن أحمد بن محمود طحان. 2004. تيسير مصطلح الحديث. الرياض: مكتبة المعارف. ص. 46.

⁶⁰⁴ الأصبهاني. 1974. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. ج. 9. ص. 107.

⁶⁰⁵ البغدادي. 1938. الكفاية في علم الرواية. ص. 20.

ثانيًا: معرفة كافية بالمصادر التاريخية المعتمدة لأن السير والمغازي لها علاقة وثيقة بالتاريخ الإسلامي. ومن أهم مميزات المصادر التاريخية دقتها في توصيف الأخبار التاريخية، بل إنها تعد أهم مصادر السير بعد القرآن والسنة، وفيها ما ليس في القرآن والأحاديث من تفاصيل الأخبار في كثير من الأحيان، لا سيما أنها قد كتبت في وقت مبكر جدًا⁶⁰⁶، مما جعلها فوق المصادر الأخرى من حيث الجودة. ومن أهم المصادر التاريخية التي ينبغي لباحث في السير معرفتها، هي سيرة ابن إسحاق (151هـ)، ومغازي الواقدي (207هـ)، وسيرة ابن هشام (213هـ) وهي تهذيب لسيرة ابن إسحاق، وتاريخ خليفة بن خياط (240هـ)، وأنساب الأشراف للبلاذري (279هـ)، وتاريخ الطبري (310هـ)، وتاريخ بغداد (463هـ)، وغيرها من المصادر التاريخية.

ثالثًا: التخلق بالأمانة في انتقاء روايات السير ونقلها، وأن لا يجعل الأفكار التي يعتنقها معيارًا لقبول روايات السير أو ردها.

إن الأمانة صفة من الصفات التي أشار إليها القرآن والرَسُول ﷺ في أحاديثه. قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾⁶⁰⁷، بل إن الرسول ﷺ حذّر المسلمين من أن الأمانة هي الخصلة التي ستفوت، كما قال الرسول ﷺ: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة". قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"⁶⁰⁸، وهي الخصلة التي فقدتها المنافقون، حيث قال الرسول ﷺ: " آية المنافق

⁶⁰⁶ العمري. 1994. السير النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحرّين في نقد روايات السير النبوية. ص. 53.

⁶⁰⁷ القرآن. الأحزاب 72:33.

⁶⁰⁸ البخاري. 2002. صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب رفع الأمانة. ج. 8: 104. رقم الحديث 6496.

ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوّمن خان⁶⁰⁹. وقد تقدم الحديث عن بعض العوامل المؤثرة التي تجعل بعض مؤلفي كُتُب السيرة متعصّبين ولا ينتقون الروايات بأمانة، حيث يختارون الروايات التي أحبّوها بناءً على ميولهم المذهبيّة.

ومن أمثلة عدم الأمانة في النقل الاستعانة بالأحاديث المكذوبة عن الرّسول ﷺ دعماً للميل النّفسي⁶¹⁰ مثل حديث "أول ما خلق الله نور نبيك". وقد نسب هذا الحديث جمع من العلماء لعبد الرّزاق الصنعاني خطأً كالقسطلاني⁶¹¹، والرّزقاني⁶¹²، والعجلوني⁶¹³. قال السيوطي تعليّقاً على هذا الحديث: "ليس له إسناد يعتمد عليه"⁶¹⁴، وقال الألباني: "وفي الحديث إشارة إلى ما يتناقله النّاس حتّى صار ذلك عقيدة راسخة في قلوب كثيرة منهم وهو أنّ النور المحمّدي هو أول ما خلق الله تبارك وتعالى. وليس لذلك أساس من الصّحّة، وحديث عبد الرّزاق غير معروف إسناده"⁶¹⁵. ولعل هذا الحديث أخذ به النّاس من كتاب بحار الأنوار – بعد الاستقصاء الباحث المتواضع – المليئ بالأحاديث التي ذكرت "نور محمّد"⁶¹⁶، وهو أوسع كُتُب الحديث عند الشّيعة. وكتاب بحار الأنوار هذا معروف بين الشّيعة، وفيه

⁶⁰⁹ المصدر نفسه. ج. 1: 21. رقم الحديث 33.

⁶¹⁰ موحايزاد. 8 أغسطس 2021. "Isu Nur Muhammad | Ustaz Muhaizad Bin Muhammad". درس صوتيّة في موقع يوتيوب. https://www.youtube.com/watch?v=o_eGNa23Zxc&t=6s

⁶¹¹ القسطلاني، أحمد بن محمّد بن أبي بكر. د.ت. المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة. القاهرة: المكتبة التوفيقيّة. ج. 1. ص. 48.

⁶¹² الرّزقاني، محمّد بن عبد الباقي بن يوسف. 1996. شرح الرّزقاني على المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة. بيروت: دار الكُتُب العلميّة. ج. 1. ص. 49.

⁶¹³ العجلوني، إسماعيل بن محمّد بن عبد الهادي. 2000. كشف الحفاء ومزيل الإلباس. القاهرة: المكتبة العصريّة. ج. 1. ص. 302.

⁶¹⁴ السيوطي، عبد الرّحمن بن أبي بكر. 2004. الحاوي للفتاوي. بيروت: دار الفكر. ج. 1. ص. 386.

⁶¹⁵ الألباني، محمّد ناصر الدّين. 1995. سلسلة الأحاديث الصّحيحة وشيء من فقهاها وفوائدها. الرّياض: مكتبة المعارف. ج. 1. ص. 258.

⁶¹⁶ انظر: المجلسي، محمّد باقر. 1983. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار. بيروت: مؤسّسة الوفاء. ج. 15. ص. 24.

أكاذيب، وأباطيل⁶¹⁷، وهذا يدل على بطلان هذا الكتاب⁶¹⁸. فمن المفروض على الناقل أن يكون أميناً في انتقاء الأحاديث التي نسبها إلى الرسول ﷺ، ومن باب الأولى أن يترك كل المصادر التي تخالف الشريعة الإسلامية.

5,5,2 المطلب الثاني: الاحتياط في قبول روايات السيرة والمغازي

ينبغي لكل باحث في علم الحديث الاحتياط في قبول أي حديث من الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ﷺ، بصرف النظر عن المواضيع المتناولة فيها، وإن السيرة والمغازي من هذا القبيل، حتى لا يُنسب إلى الرسول ﷺ شيئاً بدون التأكد من صحته. وعلى سبيل المثال، اشتهر بين ألسنة الناس ما يسمى بـ "the living sahabi"، حيث وردت في بعض الروايات، مثل ما رواه الترمذي في سننه⁶¹⁹ قصة رحلة الرسول ﷺ إلى الشام مع عمه وشيوخ قريش، ولقائه ﷺ مع بحيرى الراهب، وميل فيء الشجرة عليه ﷺ، وهي التي تقال أنها موجودة في الأردن بالبقيعاوية⁶²⁰.

والذي يراه الباحث أن هذه الرواية لها علتان، فأما الأولى فتتعلق بسندها، وآفته عبد الرحمن بن غزوان، حيث قال عنه الذهبي: "وله مناكير"⁶²¹. وأما الثانية، فقد انتقدها بعض العلماء من ناحية متنها، مثل

⁶¹⁷ د.م. 6 سبتمبر 2015. "من الروايات الباطلة عند المبتدعة". إسلام ويب. <https://www.islamweb.net/ar/fatwa/307009>

⁶¹⁸ د.م. د.ت. "المطلب الثالث: بحار الأنوار". موسوعة الفرق. التصفح في: 20 نوفمبر 2022.

<https://www.dorar.net/firq/1762/>

⁶¹⁹ الترمذي. 1975. سنن الترمذي. أبواب المناقب. باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ. ج. 5: 590. رقم الحديث 3620.

⁶²⁰ موحايزاد. 18 نوفمبر 2021. "Pengalaman Ziarah The Living Sahabi, Jordan| Ustaz Muhaizad Bin "

Muhammad". دروس صوتية في موقع يوتيوب. <https://www.youtube.com/watch?v=mm1SqV26rgM>

⁶²¹ الذهبي. 1963. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. ج. 2. ص. 251. العمري. 1994. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد

المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية. ج. 1. ص. 107.

ذكر أبي بكر وبلال بالرواية، حيث كان أبو بكر في هذا الوقت ابن عشر سنين ولم يكن بلال ولد بعد⁶²²، ومثل ذكر غمامة وفيء الشجرة، وهو غريب في العادة، حيث إذا كانت عليه غمامة تظله ﷺ، فمن المستغرب أن يميل فيء الشجرة عليه ﷺ أيضاً، لأن ظل الغمامة يعدم فيء الشجرة التي نزل تحتها⁶²³، ومع ضعف هذه الرواية سنداً وممتناً، ما زال بعض الناس ينسبون الشجرة إلى البقيعاوية.

والجدير بالذكر إن هذه النسبة غير صحيحة، وقد أثبتت اختبارات حديثة أجرتها وزارة الزراعة بالأردن أن عمر الشجرة لا يبلغ ستمائة عاماً، وبالتالي لا يصح إثبات وجودها منذ عهد الرسول ﷺ، وقد أثبتت أيضاً أن البقيعاوية ليست طريقاً من الطرق التجارية المعروفة، فمن المستحيل أن تكون طريقاً استخدمه ﷺ وشيوخ قريش إلى الشام لغرض التجارة⁶²⁴. ولهذا ينبغي الاحتياط في قبول أي رواية نسبت إلى الرسول ﷺ خاصة التي تتعلق بالسيرة والمغازي لتعلقها بتطبيقات الرسول ﷺ العملية. والله أعلم.

3,5,5 المطلب الثالث: عدم استصغار جهود أنمة السيرة والمغازي

قال الرسول ﷺ: "... إن العلماء ورثة الأنبياء..."⁶²⁵، وإن العلماء بصرف النظر عن المجالات التي تخصصوا فيها، يجب احترام علمهم، وقال رسول الله ﷺ: "إن الله، وملائكته، وأهل السماوات، والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت؛ ليصلون على معلم الناس الخير"⁶²⁶. ولذلك فإن

⁶²² العُمري. 1994. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحققين في نقد روايات السيرة النبوية. ج. 1. ص. 107.

⁶²³ المصدر السابق. ج. 1. ص. 108.

⁶²⁴ هاني العزيري. 5 أكتوبر 2009. شجرة البقيعاوية (تعقيب وتصحيح). عمون. <https://ammonnews.net/article/46324>

الحديث Top.

⁶²⁵ الترمذي. 1975. سنن الترمذي. أبواب العلم. باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة. ج. 5: 48. رقم الحديث 2682.

⁶²⁶ المصدر نفسه. ج. 5: 50-51. رقم الحديث 2685.

مصنفاتهم في السِّيرِ والمغازي يجب احترامها عليها، وإن كانت بعض رواياتها لا تتوفر الشُّروط لقبول روايات السِّيرِ والمغازي، كما تقدم ذكره⁶²⁷. وقد أجادوا في أعمالهم لخدمة مجال السِّيرِ والمغازي، ولعلهم حاولوا قدر إمكانهم جمع الروايات المتعلقة بسير الرِّسُول ﷺ ومغازيه، فالمسلمون لا يكلفون إلا بقدر قدرتهم، كما ذكر الرِّسُول ﷺ في حديث أبي هريرة: "... فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه"⁶²⁸. وخلاصة القول، يجب لمن يبحث في سير الرِّسُول ﷺ، أن يحترم ما توصل إليه العلماء السَّابِقون، ولا يجوز أن يستهزأ بما قاموا به، وإن أراد تقديمهم فلا بد من مراعاة الآداب المحمودة من استعمال الكلمات الحسنة، وعدم الغلو في نقد الأمور المسموحة في هذا المجال. كما قال الرِّسُول ﷺ: "الْيَسَّ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلَا اللَّعَانَ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَدْيِ"⁶²⁹. والله أعلم.

4,5,5 المطلب الرابع: التوكُّل على الله بعد ترجيح قضايا معينة تتعلق بالسِّيرِ والمغازي

ويمكن القول أن هذا الضَّابط الأخير لا بدَّ على كل باحثٍ تطبيقه، وليس في هذا المجال فقط، بل يشمل جميع المجالات في حياة الإنسان. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾⁶³⁰. فالتوكُّل هو "عمل القلب وعبوديته اعتماداً على الله وثقةً به مع القيام بالأسباب المأمور بها والاجتهاد في تحصيلها"⁶³¹، وهو أمر ضروري يحتاج إليه النَّاس بعد الجهد المقترن به.

⁶²⁷ انظر: ص. 182-185 من هذه الدِّراسة.

⁶²⁸ مسلم. 1955. صحيح مسلم. كتاب الحج. باب فرض الحج مرة في العمر. ج. 2. ص. 975. رقم الحديث 1337.

⁶²⁹ الترمذي. 1975. سنن الترمذي. ج. 4: 350. رقم الحديث 1977.

⁶³⁰ القرآن. آل عمران 3:159.

⁶³¹ اليماني، عبد الرَّحْمَنِ بن يحيى المعلمي. 2013. الفوائد اللغويَّة. مَكَّة: دار عالم الفوائد. ج. 24. ص. 385.

ومثال ذلك، فيما يتعلّق بتقدير مصير والدي الرّسول ﷺ في الآخرة. وقد نوقشت هذه القضية بالتفصيل في رسالة دكتوراه بعنوان "الأحاديث المشكّلة الواردة في تفسير القرآن الكريم"⁶³²، حيث ذكر مؤلفه مذاهب العلماء فيها مقترنة ببيان أدلتهم. وقد ذهب أصحاب المذهب الأوّل إلى أن والدي الرّسول ﷺ في النَّار، وهو رأي أبو حنيفة⁶³³، والبيهقي⁶³⁴، وابن تيميّة⁶³⁵، وابن كثير⁶³⁶، والألباني⁶³⁷. أما المذهب الثّاني، فإن أصحابه توقّفوا في مصيرهما في الآخرة، وهو رأي تاج الدّين الفاكهاني⁶³⁸، والسخاوي⁶³⁹، والقرضاوي⁶⁴⁰ من المعاصرين. وأما المذهب الثّالث، فإنهم أكّدوا نجاة والدي الرّسول ﷺ، وانقسموا إلى ثلاثة مسالك في تحديد سبب نجاحهما. أما الأوّل، فإنهم قالوا بأنهما

⁶³² انظر: القصير، أحمد بن عبد العزيز مقرن. 2009. الأحاديث المشكّلة الواردة في تفسير القرآن الكريم. الرياض: دار ابن الجوزي. ص. 316-334.

⁶³³ نقله الملا علي القاري في كتاب أدلة معتقد أبي حنيفة حيث يقول: ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر. ولم يجد الباحث النقل في نسخة أصليّة لكتاب الفقه الأكبر المنسوب إلى أبي حنيفة. والله أعلم. انظر: القاري، علي بن (سلطان) محمّد. 1993. أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرّسول عليه الصلاة والسّلام. المدينة المنوّرة: مكتبة الغرابة الأثريّة. ص. 62.

⁶³⁴ البيهقي. 1988. دلائل النّبوة ومعرفة أحوال صاحب الشّريعة. ج. 1. ص. 192.

⁶³⁵ ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحلّيم بن تيميّة الحرائي. 1995. مجموع الفتاوى. المدينة النّبويّة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف. ج. 4. ص. 324-326.

⁶³⁶ ابن كثير. 1988. البداية والتهاية. ج. 2. ص. 342.

⁶³⁷ الألباني. 1995. سلسلة الأحاديث الصّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. ج. 6. ص. 180-181.

⁶³⁸ نقله السيوطي في الحاوي للفتاوى. انظر: السيوطي، عبد الرّحمن بن أبي بكر. 2004. الحاوي للفتاوى. بيروت: دار الفكر. ج. 2. ص. 279.

⁶³⁹ السخاوي، محمّد بن عبد الرّحمن. 1985. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. بيروت: دار الكتاب العربي. ص. 67.

⁶⁴⁰ يوسف القرضاوي. د.ت. كيف تتعامل مع السنة النّبويّة، معالم وضوابط. د.م: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ص. 97.

لا يعذبان لعدم تبليغهما الدعوة، وهو رأي السندي⁶⁴¹، ومحمد الغزالي من المعاصرين⁶⁴². فأما الثاني، فإنهم بينوا أن نجاحهما لدخولهما في ملة إبراهيم عليه السلام مستدلين بآية من سورة البقرة⁶⁴³، وهو رأي ابن عاشور⁶⁴⁴. وأما الثالث، فإنهم استدلووا بأحاديث إحياء الله والدي الرسول ﷺ في آخر حياته ﷺ، فأما به، ونجا، وهو رأي ابن شاهين⁶⁴⁵، والخطيب البغدادي⁶⁴⁶، وغيرها. وبعد سرد هذه الأقوال، فإن النقطة التي يريد الباحث تأكيدها هي أهمية التوكل بعد ترجيح قول من الأقوال المتعددة في القضية، بعد القيام باستقصاء الأدلة وتحليلها، ومقارنتها، لأن العلم بحقيقة الأشياء حق لله، ولا يجوز لأحد أن يستهزأ باختيار غيره في القضية لأنه من المسائل الخلافية المعتمدة. والله أعلم.

⁶⁴¹ السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي. 1986. حاشية السندي على سنن النسائي. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية. ج. 4. ص. 395.

⁶⁴² محمد الغزالي. د.ت. دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين. مصر: دار الوفاء. ص. 28.

⁶⁴³ القرآن. البقرة: 124: 2.

⁶⁴⁴ ابن عاشور، محمد بن طاهر. د.ت. التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. ج. 25. ص. 195.

⁶⁴⁵ نقله السيوطي في الحاوي للفتاوي. انظر: السيوطي. 2004. الحاوي للفتاوي. ج. 2. ص. 399.

⁶⁴⁶ المصدر السابق.